الترجمة الكاملة

3



ذكريات

تأليف : آرثر كونان دويل

شارلوك هولمز

الوجه الأصفر
The Yellow Face

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند شباط 1893

ذكريات



ترجمة : سليمان حسون

رواد المعرفة



ذكريات شارلوك هولمز

1- ذو الغرة الفضية
2- لغز الطرد البريدي
3- الوجه الأصفر
4- لغز موظف البورصة
5- لغز سفينة غلوريا سكوت
6- طقس موسغريف
7- لغز بلدة ريغيت
8- لغز الرجل الأحدب
9- المريض المقيم
10- المترجم اليوناني
11- وثائق المعاهدة البحرية
12- المشكلة الأخيرة

مغامرات شارلوك هولمز

1- فضيحة في بوهيميا
2- عصبة ذوي الشعر الأحمر
3- الهوية الغامضة
4- لغز وادي بوسكومب
5- بذور البرتقال الخمس
6- الرجل ذو الشفة المقلوبة
7- مغامرة العقيق الأزرق
8- مغامرة الشريط المرقط
9- مغامرة إبهام المهندس
10- مغامرة النبيل الأعزب
11- مغامرة تاج الزمرد
12- مغامرة منزل الأشجار النحاسية



رواد المعرفة للنشر والتوزيع
دولة الكويت - جوال: 0096590088113
Email: rawadalmarefa@hotmail.com

الطبعة الثانية
2015م - 1436هـ

ذكريات شارلوك هولمز

The Yellow Face

الوجه الأصفر

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سليمان حسون

أجيال الغد
سورية - دمشق - هاتف: 00963 11 2262422 / 2256733
ص.ب: 31453 - agyalalgadsyr@gmail.com
أشرف على التنفيذ الفني والطباعي دار الحافظ
daralhafez.net

3

ذكريات شارلوك هولمز

The Yellow Face

الوجه الأصفر

تأليف: آرثر كونان دويل

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند
شباط 1893

ترجمة: سليمان حسون

مراجعة: لينا حجازي

مُقدِّمَةُ

تفوَّقت شخصية شارلوك هولمز على شهرة مخترعها سير آرثر كونان دويل وتجاوزت شهرتها ليس فقط لندن والجزيرة البريطانية، بل بلغت أقاصي العالم مع ترجمة أعمال ومغامرات هولمز إلى كل لغات العالم تقريباً. فلم يعد أحد من الشَّبان أو الشَّابات إلا ويعرف من هو ذلك المحقق اللامع الذّكاء الذي يعير انتباهاً إلى أدق التَّفاصيل عندما يضع قضية ما تحت مجهر فحصه الدَّقيق. ومن منا لا يذكر براعة هولمز في فك طلاسم أعقد الألغاز وأشدها غموضاً بطريقة تحليله المنطقية الشَّهيرة. تعتبر شخصية هولمز غير الحقيقية طبعاً واحدةً من أكثر الشَّخصيات تأثيراً في القراء خلال القرن العشرين نظراً لمخاطبتها عناصر أساسية في شخصية أي إنسان لتحفيز قدراته

العقليـة، وتفكـيره مـن أجـل الوصـول إلى حـل كل لغـز اشـتركت فيـه. وكأنَّهـا (أي شـخصية هولمـز) كانـت تحـث القـارئ دومـاً وتحفـزه للوصـول إلى الحقيقـة، أو حـل اللّغـز المطروح بشـكلٍ يجعل القـارئ يضطر لاسـتخدام كل ملكاته الفكريَّـة والعقليـة للوصـول مـع هولمز وواطسـون إلى حقيقة الأمـر، أو حتَّى أن يسـبقهما في التَّوصل للحقيقـة. الطَّريف في شـخصية هولمـز أنَّهـا وعـلى الرغم مـن أنَّها تقـدِّم لنا شـخصاً مـن لنـدن في نهايـة القـرن التَّاسـع عـشر إلا أنَّهـا مـن خـلال طريقـة تعاملهـا مـع مـا حولهـا ومـن حولهـا تبـدو شـخصية أكثـر معـاصرة وكأنَّ كونـان دويـل نجـح بتحويلهـا إلى شخصية خارج إطار زمان محدد.

الأهـم مـن شـخصية هولمـز التـي تتسـيَّد كل قصـص كونـان دويل هي شـخصيَّة كاتبهـا التي تشي بشـخص عاش حياتـه كتجربـةٍ عظيمـةٍ تمكَّـن إلى أقصى حـد في تصويرها من خـلال شـخصية هولمـز، أحيانـاً وشـخصية د. واطسـون بصـورةٍ أكـبر وأكثر جـلاء. كما تمكّـن الفنان سـيدني باجيت مـن ابتـداع صـورة نمطيـة محـدَّدة ومشـوِّقة للسـيد هولمـز في

أذهاننـا، مـع مواكبـة قصـص كونان دويـل برسـومات جميلة جعلـت صـورة هولمـز المرتـدي لقبعتـه المميـزة. وغليونـه الجميل، صورة لا تمحى من أذهاننا.

آرثر كونان دويل

مؤلف شخصيَّة «شارلوك هولمز»

ولـد الطبيـب والروائـي البريطـاني السـير آرثـر كونـان دويل في أدنبرة باسـكتلندا سـنة 1859، واشتهرت الشَّخصية التـي ابتدعهـا «شـارلوك هولمـز» لرجـل التَّحـري الذَّكـي القـادر على فـك ألغاز الجرائـم، معتمداً على امكاناتـه الذِّهنية وقـوة الملاحظـة، واتبـاع طريقـة الملاحظـة والتَّحليـل والاسـتنتاج بالاعتـماد عـلى العلـم والمنطـق، هذه الشَّـخصية التي أصبحت أكثر شهرة من مبتدعها.

وقـد مُثلـت العديـد مـن رواياتـه وقصصـه، وتحوَّلت إلى أفـلام سـينمائية وأفـلام كارتونية. وقد هجر السـير آرثر دويل مهنـة الطّب بعد أن مارسـها ثماني سـنوات، واتَّجـه إلى الأدب، واسـتطاع أن يبـدع فيه. بـدأ حياته الأدبية سـنة 1887 بكتابة القصـص القصـيرة للمجـلات بهـدف زيـادة دخلـه. يقـول

النَّاقد كريستوفر مورلي عن شارلوك هولمز: لم يحدث أبداً أن نالت شخصيَّة روائيَّة هذا الحظ من القدرة على امتاع القرَّاء والالتصاق بهم بمثل ما نالت شخصية شارلوك هولمز. فالسير آرثر دويل بعد أن مارس مهنة الطّب في عيادته التي لم يكن يزورها إلا النُّزر اليسير من المرضى، كان يجد أوقاتاً كبيرة من الفراغ، شغلها بكتابة القصص القصيرة، والتي لم تنل حظاً من النَّجاح في البداية.

إلا أنَّه وبعد نشر روايته الأولى عن شارلوك هولمز سنة 1887 أخذ نجمه في الصّعود. وبلغت مجموع القصص والرِّوايات التي كتبها السير آرثر دويل وظهرت فيها شخصية شارلوك هولمز حوالي 60 عملاً، جُلَّها من القصص القصيرة، حتَّى أصبح السير آرثر دويل من أكثر كتَّاب القصَّة القصيرة دخلاً في عصره.

ونظراً لجهوده في دعم الحكومة البريطانية في حرب البوير «1899 - 1902» رقِّيَ إلى رتبة فارس سنة 1902.

شارلوك هولمز

شخصيَّة خياليَّة لمحقِّق من أواخر القرن التَّاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ابتكرها الكاتب والطَّبيب الاسكتلندي سير آرثر كونان دويل، ظهرت الشَّخصية لأول مرة في 1887، واشتهرت الشَّخصية بمهارتها الشَّديدة في استخدام المنطق والمراقبة لحل القضايا، وقد يكون هو أشهر محقِّق خيالي في العالم، وهو بالفعل أحد أكثر الشَّخصيَّات الأدبيَّة المعروفة بشكلٍ عالمي.

كتب كونان دويل أربع روايات، وستاً وخمسين قصَّة قصيرة من بطولة هولمز، رويت جميعها من قبل صديقه الحميم وكاتب سيرته دكتور جون هـ. واطسون، باستثناء قصَّتين رواهما هولمز بنفسه، واثنتين رويتا بضمير الغائب.

وصف شارلوك هولمز نفسه بأنَّه محقِّقٌ استشاري خبير، يتم استدعاؤه لحل القضايا التي يثبُت أنَّها صعبة الحل جدَّاً على المحققين الرَّسميين (النَّمطيين). وتُخبر القصص أنَّه كان قادراً في العديد من المناسبات على حل القضايا بدون مُغادرة بيته، دون أن تهتم القصص بتقديم الكثير من

هـذه القضايـا الصَّغـيرة، مُركِـزَةً عـلى القضايـا المشـوِّقة التي تتطلَّـب منـه القيام بتحريك سـاقيه فعـلاً. يتخصَّص هولمز في حـل القضايـا الغريبـة مسـتخدماً قـواه الاسـتثنائية في المراقبة والتَّحليل المنطقي.

يُصوَّر هولمز بشـكلٍ دائم في الوسـائط الإعلاميـة المختلفة مرتديـاً قبعـة صائد الأيائـل وعباءته، مُدخناً غليوناً، وممسـكاً بعدسـةٍ مكـبرة. ويوصـف هولـمز بأنَّـه سـيدٌ إنجليـزي مـن الطِّـراز الفيكتـوري، طويـلٌ ورشـيقٌ، لـه عينـان حادَّتـان دقيقتـان، وأنـف معقـوف. بالرُّغـم مـن قامتـه النَّحيلـة فـإنَّ قدراتـه البدنيَّـة عاليـة. هـو ملاكـمٌ ومبـارزٌ ماهرٌ، وعـادة ما يتغلَّـب عـلى خصومـه في المـرات القليلـة نسـبيَّاً التـي اضطر فيهـا للاشـتباك جسـديَّاً. وفي مغامـرة إكليـل العقيـق يقـول هولـمز أنَّـه: (يمتلك قوة اسـتثنائية في أصابعه). أمَّـا في مغامرة المنـزل الفـارغ فيذكـر أنَّـه: (يمتلـك القليل مـن المعرفة حول المصارعـة اليابانيـة). كان يعيـش هولـمز في لندن شـارع بيكر عنوان 221 B.

في أوَّل قصصـه، دراسـة بالقرمـزي، قُدِمَـت بعـض

المعلومات عن خلفية هولمز. قُدِم في 4 آذار 1881 على أنَّه طالب كيمياء مستقل، له مجموعةٌ واسعةٌ من الاهتمامات الجانبية، وتقريباً؛ فإنَّ كل هذه الاهتمامات تصب في مجرى مساعدته ليصبح خارقاً في حل الجرائم. في مغامرة أخرى مبكِّرة بعنوان مغامرة غلوريا سكوت، تتضح الأسباب التي دعت هولمز إلى العمل كمحقق خاص؛ امتداح والد زميله في الكلية الشَّديد لمواهبه وقدراته الاستنتاجيَّة.

في مغامرة المترجم الإغريقي، يقول هولمز: أنَّ جدَّته كانت شقيقة الرَّسام الفرنسي فيرنو. وفي دراسة بالقرمزي، يضع دكتور واطسون تقييماً لمهارات شارلوك:

ويعتبر شارلوك هولمز أيضاً مُحلِّل شفرات كفء، ويقول لواطسون: أنا متآلف مع كل أشكال الكتابة السريَّة بشكل جيد، وأنا نفسي مؤلف كتاب ثانوي حول الموضوع، حللت فيه مائة وستين شفرة منفصلة. حُلت إحدى الشَّفرات في مغامرة الرِّجال الرَّاقصين، التي استخدمت سلسلة من الأشكال الأوليَّة.

كما أظهر هولمز نفسه كأستاذ في التَّنكر بعد أن تنكر في

أشكال مختلفة خلال مغامرات: بحار (علامة الأربعة) وسائس خيل، ورجل دين (فضيحة في بوهيميا)، ومدمن أفيون (الرَّجل ذو الشفة المقلوبة)، ومتبطل عادي (مغامرة إكليل العقيق)، وكاهن إيطالي عجوز (مغامرة المشكلة الأخيرة)، وبائع كتب (مغامرة البيت الفارغ)، وعامل تمديدات صحيَّة أو سبَّاك (مغامرة تشارلز أغسطس ميلفيرتون)، ورجل محتضر (مغامرة المحقِّق المحتضر)، وأخيراً متسول كلب آل باسكرفيل.

ويمكن اعتبار هولمز رائداً في علم الأدلَّة الجنائيَّة الحديث لاستخدامه هذا العلم في قضاياه، مثل: تعرفه على الفروقات بين أنواع الآلات الكاتبة لفضح الاحتيال (قضية هوية). وتوصله إلى جريمة باكتشافه قطعتين من البقايا البشرية (مغامرة صندوق الورق). وملاحظته لبقايا بارود على الضحية (مغامرة ميدان ريغاتي). وملاحظته نوع الرَّصاص المستخدَم في جريمتين (مغامرة البيت الفارغ). واستخدامه بصمة الأصابع لتحرير رجل بريء (مغامرة باني نوروود).

عـاش شـارلوك هولـمز تاريخيـاً، في B 221 شـارع بيكـر، لنـدن منـذ 1881، حيـث أمـضى العديـد مـن سـنواته المهنية مـع صديقـه الحميـم دكتور واطسـون، الذي تشـارك الشـقة معـه قبـل زواج واطسـون في 1890. وكانـت تـشرف عـلى صيانـة الشـقة والاهتـمام بهـا السـيدة مارثـا هدسـون، مالكة البنايـة. وقـد وصـف دويـل الحـي الـذي يعيشـان فيـه بدقة، حتَّـى أنَّ الكثيريـن من القرَّاء زاروا شـارع بيكـر للبحث عن العنوان الخيالي.

ومـن أبـرز الشَّـخصيات التـي ظهـرت في حياة شـارلوك هولمز:

د. واطسون

واطسـون؛ صديـق هولـمز الحميـم، وكاتـب سـيرته الذَّاتيَّة، كـما أنَّـه يقـوم بتسـجيل معظـم قضايـا هولـمز. وفي القصـص الأخـيرة ينتقـد هولـمز واطسـون دائـماً لأنَّـه يـروي القصـص بشـكلٍ مثـيرٍ، مبتعـداً عـن الطَّريقـة الموضوعيـة والمفصَّلـة للتقاريـر التـي تركـز عـلى ما يُسـميه هولـمز (العلم المحـض). واطسـون، بالمقابل، له سـمعة مـبررة بعض الشَّيء

كرجل يميل إلى النّساء، يتكلّم بحب عن بعض النِّساء، وفي بعض القصص الطَّويلة كثيراً ما يركِّز على جمال امرأة معيَّنة، وفي النِّهاية فإنَّه يتزوَّج واحدة بالفعل. ماري مورستان من رواية علامة الأربعة.

جيمس موريارتي

«عدو شارلوك هولمز الأزلي»

البروفيسور جيمس موريارتي (نابليون الجريمة)، هو في الأساس معلِّم الرياضيات الخصوصي لهولمز، كما أشير لذلك أيضاً في عمل بارينغ-غولد. وهو المشكلة الأساسية في العديد من قضايا شارلوك هولمز.

سقط مع هولمز أثناء صراعهما في شلالات راينباخ. ونوى كونان دويل أن تكون (المشكلة النِّهائية) التي حدث فيها ذلك، هي آخر قصة يكتبها عن هولمز، لكنَّ الرَّسائل الكثيرة التي استلمها مطالبةً بعودة هولمز أقنعته بالاستمرار في كتابة القصص. وفي (مغامرة المنزل الفارغ) أخبر كونان دويل أنَّ موريارتي وحده من سقط في الشَّلال، وأنَّ هولمز جعل العالم يعتقد بأنَّه مات أيضاً ليراوغ أتباع موريارتي.

آيرين أدلر

المرأة الوحيدة التي أبدى هولمز اهتماماً بها. وتبعاً لما قاله واطسون، فإنَّ هولمز كان يشير إليها دائماً باعتبارها (المرأة). بالرُّغم من أنَّ هولمز نفسه لم يستخدم هذا المصطلح، على أنَّه ذكر اسمها الفعلي عدَّة مرات في قضايا أخرى. وهي أيضاً واحدة من النِّساء القلائل اللائي ذُكرن في قصص شارلوك هولمز، بالرُّغم من أنَّها ظهرت فقط في قصة فضيحة في بوهيميا، إلا أنَّها غالباً ما اعتبرت المرأة الوحيدة التي كسرت تحفُّظ هولمز. وهي المرأة الوحيدة التي هزمت هولمز في لغز.

مايكروفت هولمز

الشَّقيق الأكبر لهولمز، الذي يمتلك قوى تحليلية تفوق حتَّى تلك التي يتمتَّع بها شقيقه الأصغر. وبالرُّغم من ذلك فإنَّ مايكروفت غير قادر على أداء عمل تحرٍ مشابه لعمل شارلوك، لأنَّه لا ينوي بذل أي جهد جسدي ضروري لحل القضايا.

ليس لديه طموح أو طاقة، ولن يتزحزح عن هذا حتَّى ليثبت حلوله الخاصَّة، ويُفضِل أن يُعتبر حله خاطئاً على أن يتحمَّل عناء إثبات صحة كلامه. كثيراً ما أخذت مُعضلاتي إليه، وحصلت منه على شروحات ثبت صحتها فيما بعد، غير أنَّه كان دائماً غير قادر على حل النّقاط العمليَّة.

الوجه الأصفر

كان شارلوك هولمز رجلاً لا يتدرَّب من أجل التَّدريب. وكان واحداً من أفضل الملاكمين الذين رأيتهم في حياتي. لكنَّه كان يعتبر إظهار القوَّة الجسديَّة بدون هدف نوعاً من إهدار للطَّاقة فيما لا يألو جهداً، ويخاطر بنفسه حيث يجب أن يخدم هدف عمله. وينطلق لتنفيذ هذا العمل دون كللٍ أو مللٍ، مثيراً إعجاب الآخرين باجتهاده، حيث يواظب على المحاولة في ظل أصعب الظروف بشكلٍ مثيرٍ للإعجاب، لكنَّ نظامه الغذائي كان من أفضل الأنظمة. وإضافةً إلى أنَّ عاداته بسيطة إلى حد التَّقشف.

في أحد أيام الرَّبيع وفيما كان قد ارتاح قبل الذَّهاب معي إلى الحديقة، حيث بدأت أولى معالم الرَّبيع بالظهور. بقينا حوالي السَّاعتين نمشي لمسافاتٍ طويلةٍ معاً، وكنا

صامتَين معظم الوقت. ولأنَّ أحدنا يعرف كل شيء تقريباً عن الآخر. كانت السَّاعة حوالي الخامسة قبل أن نعود إلى شارع بيكر مرَّةً أخرى.

قال المستخدَم الصَّغير لهولمز: عفواً سيدي كان هناك سيِّدٌ يسأَلُ عنك. فنظر هولمز إليَّ وقال: هذا كثير بالنَّسبة لنزهات بعد الظهر!. والتفت إلى الفتى وأضاف: وهل غادر هذا السيد بعد ذلك؟.

- نعم يا سيدي.

- ألم تطلب منه الدُّخول؟

- نعم يا سيِّدي، وقد دخلَ إلى المنزل.

- وكم هي المدَّة التي انتظرها؟.

- نصف ساعة يا سيِّدي. كان غير مرتاحاً أبداً، واستمرَّ بالذَّهاب والمجيء كل الوقت الذي قضاه هنا. كنت أنتظر خارج باب غرفة الضيوف يا سيدي، وكنت أستطيع الاستماع لحركته. أخيراً خرج إلى الممر وقال بصوت عالٍ: ألن يأتي هذا الرجل؟. كانت هذه كلماته بالضَّبط. فقلتُ له: عليك أن تنتظر المزيد من الوقت.

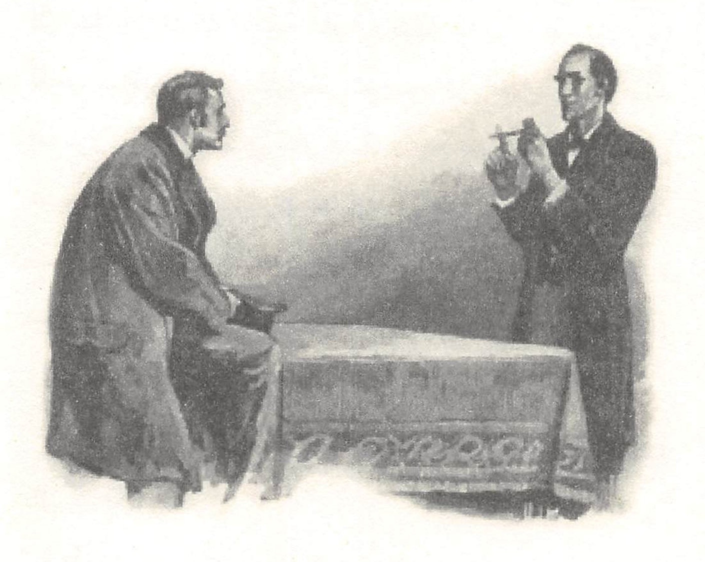
فقال: إذن سأنتظر في الخارج أشعر بأنِّي أكادُ أختنق، وسأعود بعد وقتٍ قصيرٍ. وبعد ذلكَ نهض وتوجَّه خارجاً. ولم تنفع كل كلماتي في إبقائه منتظراً.

فقال هولمز فيما كنا نتوجَّه إلى غرفتنا: حسناً لقد فعلتَ ما بوسعك. والتفتَ إليَّ قائلاً: لقد كنتُ بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى قضيةٍ أعملُ عليها، وبدا واضحاً من قلَّة صبر ذلك الرَّجل أنَّ هناك قضيَّةٌ هامَّةٌ بانتظارنا يا واطسون. يا للعجب ذلك ليس غليونك الموجود على الطَّاولة، لا بُدَّ أنَّه غليون الرَّجل الذي كان هنا. لا بُدَّ أنَّه قد نسيَه. كان غليوناً جميلاً وغالياً، القطعة التي توضع في الفم منه مؤلَّفةٌ من العنبر. وتساءلت كم هناك من النَّاس في لندن تستخدم مثل هذا الغليون الغالي؟ حسناً لا بُدَّ أنَّ ذلك الرَّجل كان مشوَّشاً حقاً لينسى مثل هذا الغليون الثَّمين.

وتساءلتُ: كيف تعرف أنَّه يعتبر هذا الغليون ثميناً بالنِّسبة له؟

فأجاب هولمز: حسناً لا بدَّ أنَّ السعر الأساسي للغليون سبع جنيهات وست قروش. وكما ترى فقد تمَّ إصلاحه

مرَّتـين، مرة تـمَّ إصلاح الـذِّراع الخشـبي، ومـرَّة العنبر. وكما تلاحـظ فـإنَّ كل واحـدةٍ مـن عمليـات الإصـلاح هـذه تمت باسـتخدام الفضَّـة مـا يعنـي تكلفـةً ماديَّـةً أكثـر مـن القيمـة الأساسـيَّة للغليـون. ولا بُـدَّ أنَّ للغليون قيمةٌ كبـيرةٌ عند هذا الرَّجـل، وإلا كان استبدله بآخـر جديـد عوضـاً عـن دفـع الكثير من النقود على إصلاحه.



فتسـاءلتُ: هـل مـن شيءٍ آخـر؟ لأنَّ هولـمز كان يُقلِّـبُ الغليـون بـين يديـه، ويُحـدِّقُ بـه بطريقتـه الفاحصـة بدقَّـةٍ

للأشياء. وحمله بيده وكأنَّه بروفيسور يُعطي محاضرةً على هيكلٍ عظمي، وقال: غالباً ما نحمل الغليون نتيجة اهتمام غير اعتيادي، فهو يعتبر شيئاً شخصيّاً جدّاً، إضافةً إلى ساعات اليد ورباط الحذاء. إنَّ الدّلالات هنا ليست على درجةٍ كبيرةٍ من الأهميَّة أو عدم الأهمية في ذات الوقت. إنَّ مالك هذا الغليون شخصٌ قويٌّ وأعسر وأسنانهُ ممتازةٌ، وهو مُهمِلٌ في عاداته، وهو شخصٌ مُسرِفٌ.

قال صديقي هذه المعلومات بطريقةٍ غير وديَّةٍ لكنِّي رأيتُ أنَّه رَمَقني بنظرةٍ ليرى إذا كنتُ قد فهمتُ ما قاله. فقلتُ: هل تعتقد بأنَّ أي إنسان يجب أن يكونَ ثريّاً بما يكفي ليقتني غليوناً بقيمة سبعة شلنغ (والشلنغ يساوي خمسة قروش، كل عشرين شلنغ تساوي جنيه واحد)؟

فأجاب هولمز: هذا مزيج غروسفينور الذي تساوي الأونصة منه ثمانية قروش، وتابع فيما كان يُطرِقُ على جوزة الغليون: كان بإمكانه الحصول على تبغٍ ممتاز بنصف الثَّمن الذي يدفعه للتَّبغ الذي يستخدمه في هذا الغليون، إنَّه شخصٌ مسرفٌ يصرف بتبذير.



- وماذا أيضاً؟

فأجاب: إنَّه مُعتادٌ على إشعال غليونه بنار الأضواء وقناديل الكاز. ويمكنُكَ رؤية أنَّهُ محروقٌ بشدَّةٍ من هذا الجانب. وبالطَّبع فإنَّ عود الثِّقاب ما كان ليُسبِّب هذا للغليون. لذلك فقد استنتجتُ أنَّه أعسر لأنَّ الغليون محروقٌ من هذا الجانب فقط، لكنّي أتسأل لماذا لشخص يملك عود ثقاب بجانب الضوء دوماً لإشعاله، لماذا لا يستخدم عود الثِّقاب لإشعال التَّبغ في غليونه عوضاً عن تشويه الغليون بمحاولة إشعال التَّبغ من نار الضّوء القويّة؟ وما جعلني أدركُ بأنّه أعسر؛ هو حرق الغليون من جانبٍ واحدٍ، لأنَّه إذا حاولتَ تجريب إشعال الغليون من نار الضَّوء وكنت تستخدم يدك اليُمنى فإنَّ الجهة اليسرى من الغليون سوف تحترق، والعكس بالعكس. ثمَّ إنَّ طريقة وآثار أسنانه على العنبر تشي بأنَّه شخصٌ قويٌّ، وأسنانه جيِّدة وقويّة. ولكن إذا لم أكن مخطئاً فإني أسمع صوت أقدامه وهو يصعد الدَّرج باتِّجاهنا الآن، لذلك علينا أن ندرس شيئاً أكثر إثارةً من غليونه.

وبعد قليل فُتح بابنا ودخل شابٌ طويلُ القامة إلى الغرفة. كان حَسن المظهر، ومرتدياً ثياباً أنيقةً؛ عبارة عن بذلة رماديَّةٍ غامقةٍ، ويحمل في يده مفكَّرة بنيّة اللَّون. وقدَّرتُ عمره بثلاثين عاماً، رغم أنَّه فعليّاً أكبر من ذلك بقليل.

قال ببعض الإحراج: أرجو المعذرة، كان يجب أن أطرق على الباب قبل الدّخول. نعم كان لا بدَّ أن أطرق قبل الدُّخول. الحقيقة أنّي منزعجٌ قليلاً. وهذا السَّبب في تصرفي الغريب. ثمّ وضع يده على جبينه، وكأنَّ ألماً يلم برأسِه، وسقط جالساً على الكرسي القريب منه.

فقال هولمز بأسلوبه السَّلس الوقور: أستطعُ القولَ بأنّكَ لم تنم لليلةٍ أو اثنتين. وهذا يُرهق أعصاب الإنسان أكثر بكثيرٍ من العمل، وحتّى أكثر من الاستمتاع بالوقت والسّعادة. هل يمكنني أن أعرف كيف يمكن أن أساعدك؟

- أردتُ نصيحتَك يا سيدي. لا أدري ماذا أفعل وحياتي تبدو وكأنها قد مُزِّقت إرباً.

- هل تريد استشارتي كمحقِّق؟

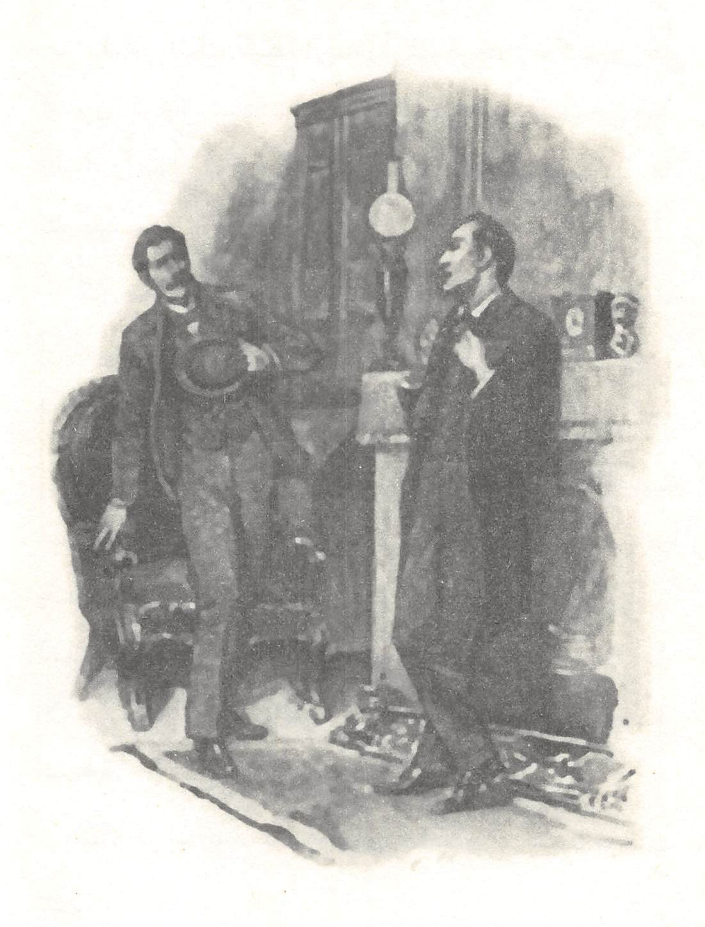
- ليس ذلك فقط. أريد رأيك كرجلٍ حكيمٍ ورجلُ قانون، كرجلٍ عادي. أريد أن أعرف ما يتوجَّبُ عليَّ فعله تالياً. وأُصلِّي لله كي تتمكَّن من مساعدتي وتقول لي ما يتوجَّبُ عمله.

كان يتحدَّثُ بأنفاسٍ قصيرةٍ متقطِّعةٍ ومُتشنِّجةٍ، وأعتقد أنَّ مجرَّد محاولة الكلام كان أمراً مؤلماً بالنَّسبة له، وبأنَّ إرادته تريد أن تطغى وتُغطِّي على مشاعره، لكن عبثاً.

قال: إنَّه أمرٌ حسَّاسٌ للغاية. لا يُفضِّلُ المرء الحديث عن شؤونه الدَّاخليّة لغرباء. من المخيف أن أناقش أمراً يخصُّ زوجتي مع اثنين من الرِّجال لم أرهما أو أقابلهما أبداً قبل هذه المرة. من المخيف حقاً والمرعب القيام بمثل هذا الأمر. لكنّي لم أعد أحتمل، ولا بُدَّ لي من الحصول على نصيحة.

فبدأ هولمز بالحديث وقال: يا عزيزي سيد غرانت مونرو.

قفز زائرنا من مكانه، وكأنَّ شيئاً لسعه وصرخَ قائلاً: ماذا! هل تعرف اسمي؟



فقال هولمز مُبتسماً: إذا أردتَ الاحتفاظ باسمك المُزيَّف، دعني أقترحُ عليك أن لا تكتب اسمك على قطعة القماش

داخـل قبَّعتـك، أو لا تديـر قبَّعتـك مـن الدَّاخـل باتجـاه مـن تُحـدِّث، حتَّـى لا يـرى اسـمكَ المنقـوش عـلى حاشـيتها مـن الدّاخـل. كنتُ على وشـك القـول بأنّي وصديقي قد اسـتمعنا في هـذه الغرفـة إلى الكثير مـن الأسرار، وسـاعدنا فيها الكثير مـن الأرواح المعذّبـة. وأنـا واثـقٌ مـن أنَّنـا سـوف نُقـدِّم لك نفـس المسـاعدة. فهـل لي أن أطلـب منـك تزويـدي بالحقائق المتعلِّقـة بقضيتِـكَ دون إبطـاءٍ، حتّـى لا نُضيِّـعَ المزيـد مـن الوقت.

وضـع ضيفنـا يده عـلى جبينـه مـرَّةً أُخـرى، وكأنَّـه وجد الـكلام بالأمـر صعبـاً للغاية بـل مُـرّاً للغاية. ومـن كل تعبير أو حركـة بسـيطة منـه كان واضحاً كـما هو شـخصٌ متحفِّظٌ ومسـيطر عـلى ذاتـه، كـما تتميَّـز طبيعتـه بقليـلٍ مـن الاعتداد بالـذَّات وهـو يميل لإخفـاء جراحـه عوضاً عن كشـفها. ثمَّ فجأةً وبإيماءةٍ مُخيفَةٍ من قبضة يدهِ المُغلقة وهو يلوح بها.

وقـال: إليـكَ الحقائـق يـا سـيّد هولمـز. أنـا رجلٌ متـزوِّجٌ منـذ ثـلاث سـنوات. وكنَّـا أنـا وزوجتي خـلال تلـك الفترة نحـب بعضنـا، وعشـنا معـاً بسـعادةٍ مثـل أي اثنـين يُحبَّـان

بعضهما. لم يكن بيننا خلاف، أي خلاف في الأفكار أو الكلام أو الأفعال. والآن منذ يوم الاثنين الماضي أصبح هناك عائقٌ بيننا، وأصبحتُ مُدركاً أنَّ هناك شيئاً يجري أو يحدث في حياتها وأفكارها دون أن أتمكَّن من معرفته، وكأنّي أتعامل مع امرأةٍ تسير بجانبي في الشَّارع، فلا أعرف عنها أي شيء. لقد أصبحنا غرباء عن بعضنا البعض. وأريد أن أفهم لماذا حدث ذلك أو ما هو السَّبب في ذلك.

الآن هناك شيئاً أريد أن أصر عليه قبل المُضي قُدماً بهذا الأمر يا سيد هولمز. إنَّ إيفي تحبني. أرجو أن لا تُشكِّك بهذا الأمر أو تُخطئ بشأنه. إنَّها تُحبُّني بكل جوارحها وقلبها وروحها، ولم تحبني قط بمقدار ما تحبني في هذه الفترة. إنِّي أعرف ذلك. أستطيع الشعور بذلك ولا أريد أي جدلاً حول هذه النّقطة. يُمكِن للرَّجل أن يعرف بسهولة إذا كانت المرأة تحبه أم لا. لكن هناك هذا السّر الذي لا أعرفه والذي دخل بيننا مؤخراً، ولن نستطيع أن نكون كما كنا معتادين مع بعضنا البعض دون الكشف عن هذا السر.

فقال هولمز مُظهراً قلّة الصَّبر: أرجوك أطلعني على الحقائق يا سيد مونرو.

- سأقول لكَ ما أعرفه عن ماضي إيفي. عندما التقيتها للمرَّة الأولى كانت أرملة رغم أنَّها كانت صغيرةً جداً في السن.. فقد كانت تبلغ الخامسة والعشرين فقط. كان اسمها حينها السّيدة هبرون. لقد ذهبت إلى أميركا عندما كانت فتاةً صغيرةً وعاشت في بلدة أتلانتا، حيث تزوَّجت هبرون الذي كان محامياً يتمتَّعُ بسمعةٍ جيِّدةٍ. ورزقا بطفلٍ، لكن الحمَّى الصَّفراء انتشرت بشكلٍ سيِّء في تلك المنطقة، ومات نتيجتها الأب والابن. لقد رأيتُ شهادة وفاته. لقد جعلها هذا تكره أميركا، وعادت لتعيش مع عمتها الشّابة في بلدة بينر بمنطقة ميدلسكس. ربما نسيتُ أن أذكُر أنَّ زوجها ترك لها ثروةً تُقدَّر بحوالي أربعة آلاف وخمسمائة جنيه، استثمرتها بشكلٍ جيِّدٍ بحيث تدرُ عليها أرباحاً تُقدَّر بسبعة بالمائة من قيمتها الإجماليّة. كانت قد قضت فقط ستة شهور في بينر عندما التقيتها أول مرة، ووقعنا في الحب وتزوجنا بعد ذلك بأسابيع قليلة.

وأنـا نفسي كنتُ تاجـراً متنقـلاً، ويبلـغ دخلي حـوالي سـبعمائة أو ثمانمائـة جنيـه. وهكـذا وجدنـا أنفسـنا مرتاحـين ماديـاً واسـتأجرنا فيـلا (مزرعـة) في منطقـة نوربـيري بثمانين جنيه سـنوياً. وكان مسـكننا اللَّطيـف الصَّغير ريفيّـاً تماماً، مع الأخـذ بعـين الاعتبـار قربـهِ الشَّـديد مـن البلـدة. كان لدينـا فندقـاً صغـيراً، ومنزلان إلى الأعـلى من الفيـلا، وكوخ صغير في الطَّـرف الآخـر مـن الحقـل الـذي تطـل عليـه الفيـلا. وباسـتثناء هـذه لا يوجـد أي منـازل حتـى تقطـع نصـف الطَّريـق باتِّجـاه المحطَّة. يضطـرني عملي لأذهـب إلى المدينة في مواسـم معيَّنـة، لكـن لا يكـون لـدي ما أقـوم بـه في الصَّيف، لذلـك نقضي الوقـت في مزرعتنا بسـعادةٍ متناهيـةٍ يصبو إليها كل إنسـان. وأقـول لـكَ بأنَّـه لم يكن هنـاك ما يزعـج علاقتنا قبل بدء هذه المسألة الملعونة.

هنـاك شيء يجـب أن أخـبرك بـه قبـل أن أتابـع. عندمـا تزوجنـا قامـت زوجتي بنقل كل ما تملكـه لي، رغم معارضتي لأنّ هـذا قد يكون سـيِّئاً جـداً وأفقد أموالي وأموالهـا في آنٍ إذا سـاءت أمـور عمـلي. لكنَّها لم تصـغِ لي، ونقلـت كل أملاكها

لي. وقبل ست أسابيع جاءت إلي وقالت: يا جاك، قلتَ لي أنّي إذا أردتُ شيئاً من مالي الذي أعطيتكَ إيّاه ما عليَّ سوى أن أطلب ذلك وسوف تعطيني المال فوراً.

فقلتُ: حتماً، إنَّه في النهاية مالكِ.

فقالت: حسناً إذن، أريد مائة جنيه.

لقد استغربت قليلاً، وفوجئت لأنّي تخيَّلت أنَّها تريد قليلاً من المال لشراء ثوب جديد أو شيء من هذا القبيل ترغب فيه. فأجبتُ باستغرابٍ: ولماذا تريدين هذا المبلغ؟

فقالت بطريقتها اللَّعوب: «آه. لقد قلتَ بأنَّكَ ستكونُ مصرف أموالي، والمصرفيون لا يسألون المودعين لماذا يُريدون سحب أموالهم كما تعلم.

حينها قلت: إذا كنتِ تعنين ذلك حقاً، بالطَّبع ستحصلين على النّقود.

- نعم بالطَّبع أريد تلك الأموال حقاً.

- وسوف لن تخبريني لماذا تريدينها؟.

- ربما أخبرك يوماً ما يا جاك، لكن ليس في الوقت الحاضر.

وهكـذا كنتُ مضطَّـراً أن أكون متحفِّظاً وأحـاول احتواء هـذا الأمـر، رغـم أنَّها المـرَّة الأولى التـي يوجد فيهـا سر بيننا. فأعطيتهـا شـيك بالمبلـغ ولم أعـد مطلقـاً للتَّفكـير في ذلـك الأمـر. وربـما لا يكون لـه أي علاقة بـما حدث لاحقـاً، لكنِّي اعتقدتُ أنَّه من المفيد ذكره.

حسـناً، لقد أخبرتكم سـابقاً عـن الكوخ الواقـع في مكان ليـس بعيـد مـن منزلنـا. كان هنـاك حقـلاً فقـط بيننـا، لكـن للوصـول إليـه عليك أن تسـير عـلى طـول الطَّريق وتسـتدير لتسـلك طريقاً زراعيَّـاً أو ريفياً غير معبَّـد. وكان هناك خلف الكـوخ تمامـاً مجموعـة صغـيرة مـن أشـجار الـسَّرو الكبـيرة وكنـت مولعاً بالسَّـير والتَّسـكُّع تحتهـا، لأنَّ الأشـجار كانت دومـاً مـن أكثـر الأشـياء لطفـاً في الجـوار. ومـا زال الكـوخ فـارغـاً للشَّـهر الثَّـامـن عـلى التَّـوالي، وكان هـذا شـيئاً يدعـو للأسـى، لأنَّـه كوخٌ جميـلٌ متميِّـز من طابقـين، هناك عريشـة تُغطِّـي مدخلـه، ومقعـدٌ خشـبي طويـل أمـام البـاب. لقـد وقفـت كثـيراً مـن المـرات عنـده متسـائلاً كـم سـيبدو جميلاً كبيت للسكن فيه.

حسناً، الاثنين الماضي كنت أتنزَّه على ذلك الطَّريق عندما قابلتُ عربةً فارغةً قادمة على الطَّريق الرِّيفي، ورأيت مجموعةً من السجاد والأشياء الأخرى مُلقاةً فوق بعضها البعض على العشب بجانب المقعد الخشبي.

كان واضحاً أنَّ هناك سكَّاناً جدد سيقيُمون في الكوخ.

تجاوزت الكوخ في مسيري متوقِّفاً لبرهةٍ عندها كرجلٍ متبطّل لا يفعل شيئاً ومررتُ ببصري على الكوخ والأغراض متسائلاً من أولئك الأشخاص الذين سيعيشون بالقرب منا ويكونوا جيراننا الجدد.

وبينما كنت أنظر، أدركتُ فجأةً أنَّ وجهاً كان ينظر إليّ من إحدى نوافذ طابق الكوخ العلوي.

لم أدرِ ما الغريب في ذلك الوجه يا سيِّد هولمز، لكنَّه سبَّب لي رعشةَ خوفٍ من رأسي حتَّى أسفل ظهري.

كنتُ قد تجاوزت الكوخ لذلك لم أُمعن في تفاصيل الوجه وملامحه بدقَّة، لكن كان هناك شيء غير طبيعي، غير إنساني في ذلك الوجه. كان ذلك انطباعي عنه، وتقدَّمتُ باتِّجاه الكوخ بسرعةٍ لأُلقي نظرةً عن قرب على الشَّخص

الذي كان يراقبني.

لكن ما أن اقتربتُ من الكوخ، حتَّى اختفى ذلك الوجه، وكأنَّه اختفى فجأةً في ظلمةِ غرفة الطَّابق العلوي.

ووقفت لخمس دقائق محاولاً تحليل ما رأيتهُ وانطباعاتي حول الأمر، ولم أستطع أن أحدِّد إذا كان صاحب الوجه رجلٌ أم امرأة. لقد كانت المسافة بعيدة حتَّى أميِّز ذلك، لكن أكثر ما أثَّر بي كان لون الوجه.

كان لونهُ أبيض شاحب ومحتقن بغضب، وكان هناك شيئاً صارماً فيه بشكلٍ غير طبيعي.

لقد تشوَّشتُ وقلت بما يكفي لتصميمي على معرفة نزلاء الكوخ الجُدُّد عن كثب. فتقدَّمتُ وطرقت على الباب الذي فُتِحَ على الفور، ليظهر خلفه امرأةً طويلةً ونحيفةً بوجهٍ قاسٍ مُكفَهر.

سألتني بلهجة سُكَّان شمال بريطانيا: ماذا تريد؟

فقلتُ وأنا أُشيرُ إلى منزلي: أنا جاركم. وأرى بأنَّكم قد انتقلتم للتَّو إلى الكوخ، لذلك فكَّرتُ أن أقدِّم لكم المساعدة إن شئتم أو احتجتم أي مساعدة.



فقالت: حسناً، سوف نطلبك عندما نحتاجُكَ.

وأغلقت الباب بوجهي.

بعد ذلك عدتُ إلى منزلي منزعجاً من هذا الأسلوب الرديء في التّعامل. وفي المساء وبالرُّغم من محاولتي الانشغال بشيءٍ آخر، بقيت أُفكِّر بالوجه الذي كان يُراقبني من الشّباك وبوقاحة تلك المرأة. وقرَّرتُ أن لا أقولَ شيئاً عن هذا لزوجتي، لأنَّها عصبيَّة ومتوتِّرة، ولم يكن لدي أي نيّة بمشاركتها ذلك الانطباع غير المُفرِح. لكنّني قلتُ لها أنَّ الكوخ أصبح فيه سكَّاناً جُدد، حيث لم تعر هذه المعلومة أي انتباهٍ أو رد.

بالعادة أنام بشكلٍ عميق. وكان أمراً موروثاً في العائلة بأن لا شيء يمكن أن يوقظ أحدنا عند نومه ليلاً. لكن في تلك اللَّيلة بالذَّات سواء نتيجة المغامرة الصَّغيرة التي اختبرتها خلال النَّهار، أو أي شيء آخر لا أدري ما هو، لكنَّ نومي ليلتها كان خفيفاً جدَّاً على غير العادة. وفيما كنت نصفُ نائم ونصف صاحٍ رأيت في الحلم بأنَّي كنتُ واعياً بشكلٍ غير واضح لشيء كان يحدث في الغرفة، وأخذتُ أدرك تدريجياً أنَّ زوجتي ترتدي فستانها والصدريَّة وتضع قبَّعتها على رأسها. وتحرَّكت شفتاي لتدمدم بكلام

غير مفهوم يُعبِّر عن المفاجأة لما يحدث، عندما وقعت عيناي نصف المفتوحتان على وجهها المُضاء بضوء الشَّمعة وجعلتني المُفاجأة مجمَّداً كالمذهول. كان هناك تعبير على وجهها لم أرهُ من قبل، تعبير لم أعتقد يوماً أني سأراه على وجهها. كانت شاحبةً جداً، وتتنفَّس بسرعةٍ وتنظر خلسةً إلى السَّرير حيث أنام، وهي تحاول أن تشد حزام فُستانها دون أن تُصدر صوتاً لكي لا توقظني. ثم ولاعتقادها بأنَّي ما زلت نائماً، تسلَّلت خارجةً من الغرفة ثمَّ سمعت بعد ذلك صوتَ صرير إغلاق باب المنزل بعد أن خرجت. جلستُ في السَّرير، وبدأتُ أطرق يدي على تاج السرير (القطعة العليا من السرير عند الرأس) لأتأكَّد بأنّي لستُ نائماً. ثمَّ تناولتُ ساعة اليد الخاصَّةِ بي من تحت وسادتي وكانت السَّاعة الثَّالثة فجراً. ما الذي تفعله زوجتي في طريق ريفي في مثل هذا الوقت؟

جلستُ لعشرين دقيقةٍ أقلِّب الأمور في رأسي محاولاً إيجاد تبريراً منطقياً لما يجري. وكلّما فكرتُ أكثر كلّما بدا الأمر غريباً وغير قابل للتَّفسير. وكنتُ ما زلتُ محتاراً

عندما سمعت صوت باب المنزل يُغلق برفق مرةً أخرى وصوت أقدامها يصعد الدَّرج.

سألتها حالما دخلت الغرفة: أين كنتِ بمثل هذا الوقت بحق الجحيم يا إيفي؟

تحرَّكت بعنف وصرختْ صرخةً مكبوتةً من الدَّهشة لسماعها صوتي أسأل، وقد أفزعتني حركَتها وصرخَتها أكثر من أي شيء مرَّ بي ليلتها، لأنَّ فيها ما يشي بأنَّ إيفي كانت مُذنبة. كانت طبيعة زوجتي منفتحة وصريحة، وهذا ما جعلني مذهولاً من دخولها الغرفة خِلسةً وصراخها ومحاولتها التَّستر على شيء ما، في الوقت الذي تتحدَّث فيه مع زوجها.

- أنت مستيقظٌ يا جاك! قالت بضحكةٍ متشنِّجة وتابعت: لماذا؟ كنتُ أعتقد أنَّه لا شيء يمكنه أن يجعلك تستيقظ ليلاً.

فقلت بإصرار أكبر وبشكلٍ حازم: أين كنتِ؟

فأجابت: «لم أتصوّر بأنَّكَ ستتفاجأ. قالت هذا وأصابعها تطرق بعصبيَّةٍ وتوتُّر، فيما تفك رباط فستانها

وتابعت: لماذا، لم أذكر أبداً بأنِّي قمت بمثل هذا الأمر في حياتي. في الحقيقة لقد شعرتُ بحاجةٍ مُلحَّةٍ لتنشُّق هواءً منعشاً. أعتقد بأنِّي كنت سأغيب عن الوعي لو لم أخرج لتنشُّق الهواء النَّقي. لقد وقفتُ خارج باب المنزل لعدِّة دقائق وقد استعدتُ نفسي مرة أخرى.

طوال الفترة التي كانت تتكلَّم فيها لم تنظر إليّ مباشرة أو تنظر في عيني، وكان صوتها غير طبيعي. كان واضحاً بالنِّسبةِ لي بأنَّها لم تكن تقول الحقيقة. لم أجب كلامها بشيء، لكنِّي أشحتُ بوجهي عنها باتِّجاه الحائط، وقلبي محطَّم ورأسي مليءٌ بالشكوك والظنون السَّيئة. ما الشيء الذي كانت تخفيه عني زوجتي؟ وأين كانت خلال هذه الدَّقائق العشرين المنصرمة؟ وشعرت بأنَّه لن يهدأ لي بال قبل أن أعرف أين ذهبت؟ وماذا حدث؟ لكنِّي امتنعت عن سؤالها ثانيةً بعد أن كذبت عليّ. وقضيتُ بقية تلك اللَّيلة قلقاً أكوِّن نظرية تليها أخرى عمَّا يمكن أن يكون قد حدث مع زوجتي خارج المنزل، وكانت كل نظرية أسوأ من سابقتها.

كان يجب أن أذهب للمدينة في اليوم التَّالي، لكنِّي كنت مُشَوَّشاً جدَّاً بحيث لم أستطع الانتباه لأمور العمل. وبدت زوجتي منزعجةً بمقدار ما كنتُ منزعجاً، وتمكَّنت أن أرى من نظراتها السريعة المتسائلة لي أنَّها قد فهِمَت بأنِّي لم أصدقها، وأنَّها غير قادرة على جعلي أصدقها. وبالكاد تبادَلنا بضع كلمات أثناء الإفطار، الذي خرجت بعده مباشرةً لأتنزَّه وأعيد التَّفكير بالأمر في هواء الصَّباح المنعش.

ومشيتُ إلى أبعد مكان، حتى بلغتُ القصر البلوري وقضيتُ ساعةً، وعدت إلى نوربيري عند الواحدة ظهراً. وحدث أن قادتني خطواتي لأمر بجانب الكوخ، ووقفتُ لبرهةٍ لأنظر في نوافذه، ولأرى إذا كان بإمكاني أن ألمح مرَّةً أخرى ذلك الوجه الغريب الذي كان يراقبني من النَّافذة يوم أمس. وما أن وقفت هناك حتَّى فُتح الباب فجأةً وخرجت منه زوجتي.

صعقتني مفاجأة رؤيتها خارجةً من الكوخ، لكنَّ مُفاجأتي لم تكن بحجم مفاجأتها عندما رأتني. وتمنَّت

لوهلة لو أنَّها عادت بسرعة البرق إلى داخل الكوخ كي لا أراها. بعد ذلك وعندما عرفت أنَّه لا فائدة من إخفاء الأمر تقدَّمت نحوي بوجهٍ شاحبٍ حتَّى البياض، وعيون خائفة، حاولتْ إخفاءها خلف ابتسامةٍ حاولت رسمها على شفتيها.

قالت: آه، جاك. لقد كنتُ في الدَّاخل أعرض المساعدة على جيراننا الجدد. لماذا تنظر إليَّ هكذا يا جاك؟ أنت لستَ غاضباً منِّي، أليس كذلك؟

قلتُ: «إذن فقد جئتِ هنا ليلة البارحة؟

فصرختْ: ماذا تعني بذلك؟

- لقد أتيتِ إلى هنا. أنا واثقٌ من ذلك. من هؤلاء النَّاس الذين يجب أن تزوريهم في تلك السَّاعة المتأخِّرة جدَّاً من اللَّيل؟

- لم آتِ إلى هنا من قبل.

فصرختُ بوجهها: كيف يُمكنك أن تكذبي علي؟ حتَّى صوتك يتغيَّر عندما تفعلين ذلك. أخبريني متى أخفيتُ سرّاً ما عنكِ ولم أطلعكِ عليه؟! سأدخل ذلك الكوخ

وسأعرف الموضوع من بدايته حتَّى نهايته.

فأمسكتْ ذراعي بحركةٍ عفويّة قائلةً: لا، لا يا جاك، لا تفعل ذلك. أستحلفك بالله ألا تفعل ذلك! ثم ومع اقترابي من باب الكوخ أمسكت ذراعي وقامت بشدي إلى الخلف بقوَّة.



وقالت: أرجوك لا تفعل ذلك يا جاك. أُقسم بأنّي سوف أخبركَ كل شيء يوماً ما، لكن لن ينتج عن دخولك الكوخ سوى التَّعاسة. بعد ذلك حاولتُ التَّخلص منها للدّخول لكنَّها ظلَّت متعلقةً بذراعي ومنعتني من الدُّخول.

وصرخت: ثق بي يا جاك. ثق بي فقط هذه المرَّة. ولن تندم على ذلك أبداً. أنت تعلم بأني ما كنت لأخفي سرّاً عنكَ إلا حفاظاً عليك ولأجل خاطرك. إنَّ حياتنا على المحك في هذا الأمر. إذا أتيتَ معي إلى المنزل الآن فإنَّ كل شيء سيكون على ما يرام. أمَّا إذا أردت الدُّخول عنوةً إلى ذلك الكوخ فاعتبر أنَّ كل شيء انتهى بيننا.

كان هناك شيئاً ملحاً، ويأساً في أسلوبها جعل كلماتها تأسرني، ووقفتُ عاجزاً أمام الباب غير قادرٍ على فتحه والدُّخول.

وقلت لها أخيراً: سأثق بكِ بشرطٍ واحدٍ فقط. أنتِ حرة في المحافظة على سرك، لكن يجب أن تعديني بألا تكون هناك زياراتٍ ليلية، أو أي تصرفات دون علمي. أنا

مستعد لنسيان الأفعال الماضية إذا وعدتني أنّها لن تتكرّر في المستقبل.

فقالت وعلائم الارتياح باديةً على وجهها: كنتُ متأكِّدةً من أنَّك تثق بي. وسيكون الأمر كما تشاء. هيا بنا، هيا بنا على بيتنا.

كانت ما تزال تشدني من ذراعي، وقادتني بعيداً عن الكوخ. ومع ابتعادنا ألقيتُ نظرةً خاطفةً للخلف لأرى ذلك الوجه الأصفر المُريع يراقبنا من النافذة في الطَّابق العلوي. ما هي هذه الصلة التي تجمع ذلك المخلوق وزوجتي؟ أو كيف لتلك المرأة الجلفة الوقحة التي رأيتها البارحة أن تكون لها علاقة مع زوجتي؟ كان الأمر أُحجيةً غريبة لكني كنت أعرف بأني لن أرتاح حتّى أحل هذه الأحجية.

وبقيت ليومين بعد هذه الحادثة في المنزل، فيما بدت زوجتي ملتزمةً بما اتَّفقنا عليه. لأنَّه على حد علمي لم تتسلَّل خارج المنزل أبداً. وفي اليوم الثَّالث وضعتُ يدي على دليلٍ قاطع بأنَّ وعدها الجاد لم يكن كافياً لمنع تأثير

ذلك السر عليها، والذي يبعدها عن زوجها وواجبها.

ذهبتُ إلى البلدة ذلك اليوم، لكنني عدتُ في السّاعة 2.40 بدلاً من توقيت عودتي المعتاد الساعة 3.36، وما أن دخلتُ المنزل حتّى هرعت الخادمة إلى المدخل بوجهٍ متفاجئ.

سألتها: أين سيدتك؟

فأجابت: أعتقد أنّها خرجت لتتنزّه قليلاً.

وسرعان ما ملأ الشّك رأسي. وهرعتُ إلى الطّابق العلوي لكي أتأكّد أنّها ليست بالمنزل. وفيما أنا في الطّابق العلوي لمحتُ الخادمة وهي تغادر البيت وتركض عبر الحقل باتّجاه الكوخ. ثمّ رأيتُ بالضّبط ما توقعت رؤيته. لقد ذهبت زوجتي إلى هناك، وطلبت من الخادمة أن تُعلمها بوصولي. ومع غضبي الشّديد اندفعت نازلاً وتوجّهتُ إلى الكوخ مُصمّماً على إنهاء هذا الأمر مرّةً واحدةً وإلى الأبد. رأيتُ زوجتي والخادمة عائدتان عبر الطّريق الزّراعي وليس الحقل، وهما مسرعتان، لكنّني لم أتوقّف لأتحدّث معهما. إذ أنَّ السر الذي أريد معرفته

والـذي يخيـم بظلالـه على حيـاتي يقبـع في الكـوخ. وأصرَّيت علـى كشـفه مهـما كلَّـف الأمـر، وبأنَّـه لـن يعـود سراً مهـما حـدث. حتّـى أنّي لم أطـرق البـاب عندمـا وصلـتُ إليـه، بل فتحتُ الباب ووجدت نفسي داخل الكوخ.

كان كل شيء مرتّبـاً في الطّابـق الأرضي، وكان هناك إبريقٌ يغـلي المـاء فيـه عـلى الموقـد، وقطّـة سـوداء كبـيرة متمـددة بكسـلٍ في سـلّة؛ لكـن لم يكـن هنـاك أي إشـارة عـلى وجـود المـرأة التـي رأيتها أوّل مـرة. هُرعت إلى الغرفـة المجاورة لكن لم أجـد أحـداً بهـا. ثـم صعـدتُ الـدّرج إلى الطّابـق العلـوي لأجـد غرفتـين أخريتـين فارغتـين. لم يكـن هنـاك أي أحد في كل المنـزل. وكانـت المفروشـات والصـور من النَّـوع العادي والعـام، وموضوعـة بمعظمهـا في الغرفـة التـي كان يُراقبنـي منهـا الوجـه الغريـب عـبر النَّافـذة في الطّابـق العلـوي. لقـد ارتحـت عندمـا لم أجـد أحـداً. لكـن مـرارة الشَّـك والغضـب اعترتنـي مـرَّةً أخـرى لرؤية نسـخةً من صـورة لزوجتي كنت قـد طلبـتُ أن تلتقـط لهـا قبـل ثلاثـة شـهور وهـي موضوعة على رف المدفأة.

مكثتُ بما يكفي حتّى تأكدتُ أنّ المنزل خالٍ بالتّأكيد. ثمّ غادرتُهُ شاعراً بثقلٍ في قلبي لم أشعر به من قبل. ما أن عدتُ إلى البيت ودخلتُ حتّى لاقتني زوجتي عند المدخل لكنّي كنتُ مجروحاً وغاضباً لدرجة أنّي لم أرغب بالكلام معها، وهكذا مررتُ بجانبها دون أن أتكلم معها متوجّهاً إلى غرفة مكتبي. لكنّها لحقت بي ودخلت المكتب قبل أن أتمكّن من إغلاق الباب.



قالت: آسفة لأنِّي أخليتُ بوعدي يا جاك. لكن لو كنتَ قد عرفت كل الظروف أنا واثقة بأنَّكَ سوف تُسامحني.

فقلتُ لها: أخبريني كل شيء إذن.

لكنَّها قالت: لا أستطيع يا جاك لا أستطيع.

فقلتُ لها: ما لم تخبريني من الذي يقطن في ذلك الكوخ ومن الذي يحتفظ بصورتكِ هناك، لن يكون بيننا أي نوع من الثقة. وغادرتُ المنزل مبتعداً عنها. وقد حدث هذا البارحة يا سيد هولمز، ولم أرها منذ ذلكَ الحين، كما لم أسمع أي شيء عن هذا الأمر الغريب كلِّه. إنَّه الظّل الأوَّل الذي خيَّم على علاقتنا، ودخل بيني وبين زوجتي وهزَّ ثقتي بحيث لم أعرف ماذا أفعل. فجأةً خطر لي هذا الصَّباح بأنَّكَ الوحيد الذي يُمكن أن ينصحني بهذا الأمر، لذلك أسرعتُ إليكَ الآن واضعاً نفسي بين يديك دون تحفُّظ. إذا لم أوضِّح أي نقطة في روايتي، أرجو أن تسألني عنها. لكن وأهم من أي شيء أخبرني وبسرعة ما الذي يجب أن أفعله، لأنِّي لم أعد أحتمل هذا البؤس.

استمعنا أنا وهولمز بتركيزٍ وانتباهٍ شديدٍ إلى الرِّواية غير العادية التي قدَّمها لنا رجل تحت تأثير عاطفةٍ قويَّةٍ جدّاً. وجلس هولمز صامتاً لبرهة ويده تحت ذقنه وهو يفكِّر بعمق.

وقال: أخبرني. هل تستطيع أن تقسم بأنَّ الوجه الذي رأيتَه عبر النَّافذة كان وجه رجل؟

- في كل مرَّة كنتُ أراه، كنت على مسافةٍ بعيدةٍ عنه بحيث يستحيل التَّمييز.

- لكن يبدو أنَّكَ قد تأثَّرتَ به سَلباً.

- بدا لونُهُ غير طبيعي، وكانت عليه ملامح كرب وصرامةٍ غريبةٍ. وعندما كنتُ أقترب للحصول على صورةٍ أوضحٍ، كان يختفي في الظّلام خلف النَّافذة.

- منذ متى طلبتْ زوجتُكَ منك المائة جنيه؟

- منذ شهرين تقريباً.

- هل رأيت أي صورة لزوجها السَّابق؟

- لا. حدث حريقٌ كبيرٌ في أتلانتا بعد وفاته بفترةٍ

قصيرةٍ جداً، مما أدّى لتدمير وحرق كل أوراق زوجتي.

- ومع ذلك كان معها شهادة وفاة زوجها السَّابق! لقد قلت بأنَّك رأيتها.

- نعم لقد حصلت على بديل عنها بعد الحريق.

- هل التقيت أي شخص كان يعرفها في أمريكا؟

- لا.

- هل أشارت أو تحدَّثت عن زيارة أمريكا أو أتلانتا مرَّةً أخرى؟

- لا.

- ألم تتلقَّى رسائل من هناك؟

- لا.

- شكراً لك. أُفضِّل أن أُفكِّر في الموضوع الآن. إذا كان الكوخ قد هُجر الآن فإن الأمر سيصبح أكثر صعوبة، أما كما أعتقد على الأغلب أنَّه تمَّ تحذير سكَّانه من أنَّك كنتَ قادماً البارحة وخرجوا منه لفترةٍ بسيطةٍ، فلا بدَّ أنَّهم عادوا إليه الآن وعندها يمكننا أن نستوضح كل شيء

بسهولة. دعني أنصحُكَ الآن بالعودة إلى نوربيري وفحص (النّظر من) شبابيك الكوخ مرة أخرى. إذا كان لديك أي سبب للاعتقاد بأنَّ هناك قاطنين في الكوخ، لا تدخل إليه، بل أرسل برقيةً لي ولصديقي. وسوف ننضم إليكَ خلال ساعة واحدة من تلقِّي البرقية، وحينها سننخرط معك في هذا الأمر حتَّى نهايته.

- وماذا إذا وجدته فارغاً كما تركته؟

- في تلك الحالة، سوف أحضر غداً ونتحدَّث بهذا الأمر. وداعاً لكن أهم شيء هو أن لا تقلق دون أن تعرف أنَّ هناك حقاً ما يدعو للقلق.

وبعد أن أوصل هولمز السيد مونرو إلى الباب، عاد قائلاً: أخشى بأنَّ هذا أمراً سيئاً يا واطسون. ما رأيك أنت؟

فأجبت: أجل يبدو أمراً غير مريح ومخيف.

- نعم، هناك ابتزاز في الأمر، أو أني مخطئ إلى حدٍ كبيرٍ.

- ومن هو الذي يبتز في هذه الحالة؟

- حسناً، لا بد أنَّه المخلوق الذي يعيش في الغرفة

المُريحة الوحيدة في الكوخ، ويضع صورتها على رف المدفأة. دقِّق على كلماتي يا واطسون وحاسبني عليها فيما بعد. هناك شيئاً ما جذَّاب في ذلك الوجه الغاضب الذي كان يراقب من النَّافذة، ولن أفوِّت هذه القضية مقابل أي شيء.

- هل لديكَ وجهةُ نظرٍ أو نظريَّة ما متعلِّقة بالموضوع؟

- نعم، لديَّ نظريّة منطقيَّة، لكنِّي سأفاجأ كثيراً إذا لم تكن صحيحة. إنَّ زوج تلك المرأة الأول هو الشَّخص الموجود في الكوخ.

- ولماذا تعتقد ذلك؟

- وكيف نُعلِّل قلقها الشَّديد ورغبتها العارمة بمنع زوجها الثَّاني من دخول الكوخ؟ إنَّ الحقائق كما أراها موضوعةٌ بالتَّرتيب التَّالي: كانت هذه المرأة متزوِّجة في أمريكا. كان لدى زوجها بعض الصِّفات الكريهة، أو يمكننا القول بأنَّه كان يحمل بعض الصفات المقرفة أو الكريهة بحيث أنَّ المجتمع نفر منه واستبعده؟ وفرَّت منه أخيراً، عائدةً إلى إنكلترا، وغيَّرت اسمها وبدأت حياتها

من جديد كما اعتقدتْ. وافترضتْ بعد مرور ثلاث سنوات على زواجها الثَّاني بأنَّ وضعها أصبح آمناً مع إبرازها لشهادة وفاة تحمل اسم شخصٍ على اعتبار أنَّه زوجها الأول، عندما كشفت كل الحكاية على يد زوجها الأول، أو يمكننا أن نفترض أنَّ امرأة ما ارتبطت بالزَّوج وكشفت الموضوع بعد أن عرفت تفاصيل كثيرة عنه، وتعاونت مع الزَّوج ليبتزَّا الزَّوجة. كتبا رسالة للزوجة وهدداها بكشف أمرها. فطلبت مائة جنيه وغامرت بمحاولة شراء صمتهم. لكنَّهم بالرُّغم من ذلك جاءا، وعندما أشار الزَّوج الثَّاني للزَّوجة بأنَّ هناك سكاناً جدد في الكوخ، عرفت بطريقةٍ ما بأنَّهما من يبتزَّاها. فانتظرت حتَّى نام زوجها وذهبت إليهما محاولة إغرائهما ورشوتهما حتى يغادرا ويتركاها بسلام. ولأنَّها لم تنجح في مسعاها، ذهبت للكوخ مرَّةً أُخرى في الصَّباح التَّالي والتقاها زوجها هناك فيما كانت تخرج من الكوخ كما أخبرنا. ثمَّ وعدَتهُ بعدم الذَّهاب إلى هناك مرةً أخرى، لكن بعد يومين من ذلك كان الأمل بالتَّخلُّص من أولئك الجيران المخيفين

قويَّاً جداً بالنِّسبة لها، وذهبت إليهما ومعها الصورة التي طلباها. وفي منتصف المحادثة بينها وبينهما جاءت الخادمة وأخبرتها بعودة زوجها المبكرة.

ولعلمها بأنَّ زوجها سوف يأتي مباشرةً إلى الكوخ أخرجت نزلاء الكوخ من بابٍ خلفي وأخفتهما بين الأشجار التي أُشيرَ لها سابقاً على أنَّها موجودة خلف الكوخ.

وهكذا لم يجد أحداً في الكوخ. وسأفاجأ إذا لم يجد أحداً فيه عندما يذهب لتفقُّدِهِ مساء اليوم. ما رأيك بنظريَّتي؟

- كل هذا مجرَّد تكهنات.

- لكنَّها على الأقل تُغطِّي كل الحقائق. عندما تدخل الحقائق الجديدة معرفتنا التي لا تستطيع اكتشافها، سوف يمر وقت كاف قبل أن يعاد التَّفكير بها وفهمها. وليس بإمكاننا القيام بأي شيءٍ حتَّى تصلنا البرقيَّة من صديقنا في نوربيري.

ولم ننتظر وقتاً طويلاً لحدوث ذلك، إذ سرعان ما وصلت البرقيَّة بعد أن أنهينا تناول الشَّاي.

كانت البرقية تقول: ما زال هناك سكان في الكوخ. رأيت الوجه مرّة أخرى عند النَّافذة. سألتقي بكم في المحطّة عندما تأتون برحلة السّاعة السابعة ولن أقوم بأي شيء حتَّى وصولكم.

كان بانتظارنا على رصيف المحطة عندما وصلنا، واستطعنا أن نرى على أضواء المحطَّة بأنَّ وجهه كان شاحباً، وملامحه ترتعش من الخوف والقلق.

قال وهو يضع يده بقوة على معصم هولمز: ما زالوا هناك يا سيد هولمز. لقد رأيت أضواءً في الكوخ مع وصولي إليه. علينا أن نسوِّي الموضوع نهائياً.

وفيما كان يسير في الطَّريق المشجَّر المعتم قال هولمز: فما هي خطّتك إذن؟

- أريد أن أقتحم البيت وأرى بنفسي من بداخله. وأتمنَّى أن تكونا أنتما الاثنين شهوداً على ذلك.

- هل أنت مصرٌّ على القيام بذلك رغم تحذير زوجتك أنَّه من الأفضل أن لا تحاول حل هذا اللغز الغامض؟

- نعم، أنا مُصممٌ على ذلك.

- حسناً، أعتقد أنَّك محق. إنَّ أي حقيقة أفضل من شكٍ غير محدَّد. من الأفضل أن نتوجَّه إلى هناك مباشرةً. بالطَّبع، وبشكلٍ قانوني، نحن نضع أنفسنا بشكلٍ ميؤس منه في المكان الخطأ؛ لكنِّي أعتقد أنَّ الأمر يستحق المحاولة.

كانت ليلة مظلمة جداً، وبدأ مطر خفيف بالهطول حالما تركنا الشارع العام وسلكنا درباً زراعياً مليئاً بالحفر العميقة والشُّجيرات الصَّغيرة تنساب على جانبيه. كان السَّيد غرانت مورنو يمشي مسرعاً أمامنا بقلَّةِ صبر، فيما نحن نحاول اللَّحاق به.

وتمتم: تلك هي أضواء بيتي. مُشيراً إلى مجموعة أضواء بين الأشجار. وهذا هو الكوخ الذي سأدخله.

وانحرف الطَّريق بنا، فيما كان يتكلَّم ورأينا أمامنا البناء.

لم يكن الباب مُغلَقَاً بإحكام، وكان هناك نافذةٌ واحدةٌ في الطَّابق العلوي يشعُ منها الضَّوء. وعندما نظرنا إلى فوق كان هناك ظلٌ يتحرَّك داخل الغرفة.

فصاح غرانت مونرو: إنَّه ذلك المخلوق! تستطيعون أن

تـروا بأنفسـكم بأنَّـه يوجـد أحـد في الدَّاخـل. والآن اتبعوني وسنعرف كل شيء قريباً.

اقتربنـا مـن البـاب؛ لكـن فجـأة ظهـرت امـرأةٌ مـن قلب الظُّلمة واقفة أمامنا بوضوح نتيجة ضوء المصباح.

لم أسـتطع رؤيـة وجههـا لكنَّهـا كانـت تمـد ذراعيهـا باسـتعطافٍ قائلـةً: أسـتحلفك بـالله ألا تفعل ذلـك يا جاك. لقد كنتُ مُدركَةٌ أنَّك ستأتي هذه اللَّيلة.

أرجـو أن تفكـر بالأمـر مـرَّةً أخـرى يـا عزيـزي. امنحني ثقتك مرَّةً أخرى وسوف لن تندم على ذلك.

صـاح بصوتٍ صـارمٍ: لقد وثقـت بك بما يكفي يـا إيفي. دعيني أمضي لهدفي..

يجـب أن أعـرف كل شيء فأنـا وأصدقائي سنحسـم هذه المسألة اليوم مرَّةً واحدةً وإلى الأبد.

بعـد أن أنهـى كلامه، دفعهـا جانباً، وتبعنـاه مباشرةً وحين حـاول فتـح البـاب تقدَّمت امـرأةٌ عجـوز لتمنعـه، وحاولت أن تقف بطريقه، لكنَّه دفعها إلى الخلف.

وبعـد لحظـةٍ كُنـا ثلاثتنـا علـى الـدَّرج المـؤدِّي للطَّابـق

العلـوي، وأسرع غرانـت مونـرو لدخول الغرفـة المضاءة فيما نحن نتبعه.

كانـت الغرفـةُ دافئـةً ومفروشـة جيّـداً وفيهـا شـمعتان مضاءتـان عـلى الطّاولة، إضافة لشـمعتان مضاءتـان على رف المدفأة.

كانـت تجلـس في الزاوية مـن بـدت طفلة صغـيرة منحنية على مكتب.

كان وجههـا باتِّجـاه الجهـة الأخـرى مـن الغرفـة وكانـت ترتدي ثوباً أحمر وقفازاً طويلاً أبيض اللون.

حـين التفتـت باتِّجاهنـا صرخـتُ بفـزعٍ ودهشـةٍ، ورأينـا وجهها الشّاحب بغرابة وكانت ملامحها بدون تعبير.

بعـد لحظـة تم حـل اللغز حـين مدَّ هولمـز يده إلى مـا وراء إذن الطفلة منتزعاً القناع الذي يُخفي وجهها الحقيقي.

خلـف القنـاع كان يقـع وجه زنجية سـوداء بلـون الفحم تضحك بملء شدقيها لرؤية وجوهنا المستغربة.

فانفجـرتُ أنـا مـن الضَّحـك تعاطفـاً مـع ضحكهـا، أمّا غرانـت مونـرو فقد وقـف محدِّقاً فيها بدهشـةٍ وقـد وضع يده

على رقبته وهو يصيح: يا إلهي! ماذا يعني هذا؟!

صاحت المرأة مقتحمةً الغرفة بوجهٍ صارمٍ: سأخبرك ما ذلك ما دمتَ مصراً. لقد أجبرتني على إخبارك، رغم أنّي لم أكن أريد ذلك. الآن يجب علينا مواجهة الأمر. لقد توفي زوجي في أتلانتا لكنَّ طفلتي نجت من الموت.

- طفلتكِ؟!



أخرجت قلادةً فضيَّة من ثوبها معلَّقةً بعنقها، وقالت: لم ترَ هذه القلادة مفتوحةً من قبل.

- فهمتُ أنَّها لا تُفتح.

ضغطت المرأة زرّاً صغيراً ففُتحت القلادة. كان بداخلها صورة لشاب وسيم جداً، تعلو وجهه ملامح الذَّكاء، لكنَّها تدل على أنَّه ينحدر من أصولٍ إفريقية بدون شك.

قالت السَّيدة: إنَّ الرجل الذي في الصّورة هو جون هيبرون من أتلانتا. لقد كان أنبل إنسان عرفته في حياتي.

لقد عُزِلتُ عن أبناء جنسي البيض بسبب زواجي منه، ولم أندم للحظةٍ واحدةٍ على قيامي بذلك.

وكان سوء حظنا أنَّ طفلتنا الوحيدة ورثت لون بَشَرتِهِ.

لقد جاءت الصَّغيرة لوسي أشدُّ سواداً في بشرتها من أبوها، لكن بغض النَّظر عن لونها فإنَّها تبقى ابنتي الصَّغيرة الغالية.

عندما سمعت هذا الكلام، هُرِعَت الفتاة تجاه أمها التي تابعت قائلةً: لقد تركتها خلفي في أمريكا لأنَّ صحتها لم تكن جيِّدة، وتغيير المناخ سيؤذيها. لذلك وضعتُها برعاية

امرأة اسكتلندية مخلصة كانت تعمل في خدمتنا في ما مضى.

لم أتصوَّر يوماً أنِّي قد أتنكَّر لابنتي، لكن حين وضعك القدر في طريقي يا جاك ووقعت في حبك، خشيتُ أن أخبرك عن ابنتي.

لم أملك الشجاعة لإخبارك عنها بسبب خوفي من ابتعادك عني نتيجة ذلك، وشعرتُ أنَّ عليّ أن أختار واحداً منكما.

وفي لحظة ضعف قرَّرت اختيارك والتَّخلي عن ابنتي.

ولم أُطلعك على وجودها طوال السَّنوات الثَّلاث لزواجنا، في الوقت الذي كنتُ أطمئنُ فيه على أخبارها.

لكن في نهاية المطاف تملَّكني الشَّوق لرؤية ابنتي، ولم أتمكَّن من ردع نفسي عن طلب رؤيتها.

وعلى الرغم من إدراكي لخطورة إحضارها إلى هنا، إلا أنِّي قرَّرتُ إحضارها هنا ولو لبضع أسابيع.

لذلك أرسلتُ إلى المُمرِّضة مائة جنيه، وزوَّدتها بالمعلومات الكافية عن الكوخ المجاور لمنزلنا لتستأجره، وتصبح جارتنا دون أن تظهر أي صلة بي.

وقد اتَّخذتُ إجراءاتٍ صارمةٍ لدرجة أنِّي أمرتها بإبقاء الطفلة داخل المنزل في النَّهار، ووضع غطاءٍ على وجهها وقفازات على يديها حتَّى لا يثرثر من قد يراها من النَّافذة ليقول أنَّ هناك طفلة زنجية تعيش في الجوار.

تمنَّيتُ لو كنتُ أقل حذراً، لكنَّ خوفي منكَ كان كبيراً، خصوصاً أنَّك أنت من أخبرني أنَّ الكوخ تمَّ تأجيره.

في تلك اللَّيلة التي أخبرتني بها ذلك، كان يجب أن أنتظر حتَّى الصَّباح، لكنِّي لم أستطع النَّوم من شدَّة الانفعال، فتسلَّلتُ أخيراً، مع ثقتي بأنَّك لن تلاحظ غيابي بسبب استغراقك في النَّوم.

لكنَّك استيقظتَ وشاهدتني فيما كنت متَّجهة للخارج، وكانت تلك اللَّيلة بداية متاعبي.

ففي اليوم التالي كان سرِّي قد أصبح في مرمى انتباهك رغم أنَّ نُبلَكَ منعك من متابعة الأمر حتى نهايته.

بعد ذلك بثلاثة أيام هرَّبتُ الممرضة والطّفلة من الباب الخلفي للكوخ عندما اقتحمتَ بابه الأمامي.

ثمَّ أضافت: الآن وقد عرفتَ كلَّ شيء، حان الوقت

لأعرف ماذا ستفعل بي وبطفلتي؟

شبكت يديها بانتظار الإجابة. وانقضت عشر دقائقٍ كاملة قبل أن يكسر غرانت مونرو الصَّمت، بإجابةٍ أعتبرها من أحبّ الذكريات إلى قلبي.



فقد توجَّه نحو الفتاة وحملها ثمَّ قبّلها. ثمَّ مدَّ يده باتجاه زوجته ليأخذها معه ليتجها نحو الباب وهو يقول: يمكننا مناقشة الأمر بطريقةٍ مُريحةٍ أكثر في المنزل. أنا لستُ رجلاً جَديّاً جداً يا إيفي، لكنِّي أعتقد أنِّي أفضل مما تظنين.

وحين تبعناهم عبر الممر، جذبني صديقي من ذراعي عند خروجنا قائلاً: أظنُ أنَّ الحاجة لنا في لندن أكبر بكثير مما هي عليه في نوربيري.

لم يذكر هولمز بعد ذلك كلمةً واحدةً عن هذا الأمر، حتَّى وقتٍ متأخرٍ من نفس اللَّيلة، حين كان متَّجهاً إلى غرفته حاملاً شمعته المضاءة حيث قال: إذا انتبهت ياواطسون أنَّني أصبحتُ شديد الثِّقة بقدراتي، أو أنَّني أبذل في قضية ما جهداً أقل مما تستحق، فأرجو أن تهمس في أذني بكلمة (نورنبيري) وسأفهمك بالتَّأكيد.

• انتهى •